كل هذا هو مجرد افاضة لميلي الاولي الى رفض فكرة تقديم مجموعة ردود فعل للضمير مصنفة « يهودية » ، « مسيحية » أو « مسلمة » . فحيث تكون « الخطيئة الاصلية » فظيعة هائلة كتلك التي ارتكبت ضد الفلسطينيين ،، يجب أن تقترب ردة فعل الضمير الحقيقي من المطلقات ، والكلي . لقد كنا جميعا مذنبين — حتى العرب الذين لم يقدروا تقديرا كاملا بعد الدور المعقد والموسع للوعي في عالم شهد تغييرا ثوريا منذ تلك الايام ، القاتمة جدا بالنسبة للفلسطينيين ، عند نهاية الحرب العالمية الاولى . واذا شاءت الثورة الفلسطينية الآن أن تجند ضمير البشرية — واذا كانت القضية الفلسطينية ، كما يعتقد الكثيرون ، هي نوع من الادرينالين للشعب العربي بأسره — فانه لا بد لها ، اذن ، من أن تزيد انتاجها للحق ، والحقائق ، وصفات العدالة ، واظهار الرأفة والمسؤولية ، زيادة كبيرة كافية ليراها العالم . فالناس لا يستطيعون الحكم على ما لا يعرفونه — او اذا هم فعلوا ذلك ، فان احكامهم تكون عرضة للاجحاف وقراراتهم عابرة .

ولذا فان نصيحتي « للعرب » — اذا كانوا يرحبون بها — هي الا يقلقوا بشأن الضمير « اليهودي » . فبالنظر الى انعدام وجود المعلومات في جميع انحاء العالم في الماضي ، اعتقد ان الضمير « اليهودي » لم يوضع على المحك أكثر مما وضع الضمير « المسيحي » . فالضمير ، بوجه عام ، كان معطلا في مشكلة فلسطين ، أو أنه ، اذا كان فعالا بأي شكل من الاشكال ، استجاب بطريقة ارتكاسية للصور المشوهة التي اختلقتها دعاوة صهيونية / اسرائيلية لا منازع لها تقريبا . وقد نجح هذا المنبه للضمير من جانب واحد بسبب وعي « العرب » غير الكافي لضرورة حمل قضيتهم بنشاط الى ضمير العالم ، مستخدمين الوسيلة المقبولة والمسؤولة لنشر الحقيقة والاخلاقيات الاخرى التي تحرك الضمير .

ثمة فقرة بليغة في « المقدمة لتقارير جزائرية » الرائعة لألبير كامو ، التي يبدو انها قابلة للتطبيق هنا وتلخص ما حاولت أن أقوله :

صحيح ان القيم — سواء كانت قيم الامة أو قيم البشرية — في التاريخ ، على الاقل ، لا تبقى ما لم يناضل من أجلها ، والنضال لا يكفي لتسويغها . فالنضال نفسه ، بالاحرى ، يجب ان تبرره تلك القيم ، وتوضحه . وعندما تناضل من أجل الحقيقة ، عليك ان تحذر ألا تقتلها بعين الاسلحة التي تستخدمها للدفاع عنها — ولا تستعيد الكلمات معناها الحي الا في أوضاع مزدوجة كهذه . وللمفكر ، الذي يدرك ذلك ، دور تمييز الحدود الخاصة بالقوة والعدالة في كل معسكر . وذلك الدور هو توضيح التحديدات بغية ازالة التسمم من العقول وتهدئة التعصبات ، حتى عندما يكون هذا ضد الاتجاه الراهن .

وفي مكان آخر تقول الروح المتوهجة نفسها « لصديق » صار عدوا ظالما : « علينا أن نثبت اننا لا نستحق كل هذا الظلم » .

سيقول البعض ان هذه النصائح هي اما غير عادلة ، او غير واردة ، في نطاق التحدث عن « الضمير اليهودي » . ربما . وانا ، على الاقل ، لن أقدم لهم أي دفاع عاطفي . بل سأقول : بما انني أعتقد ان « الضمائر اليهودية » لم تمتحن حقا في نيران المعرفة التامة للحقائق عن فلسطين ، هكذا كان الفلسطينيون ، حتى الان ، في هذه الاعوام من تاريخ بلادهم الكئيب ، منهمكين أكثر من اللازم بالتكتيكات والاستراتيجيات التي كانت ضرورية لاسماع صوتهم . وفيما عدا منظريهم ومفكريهم فقد كانوا يفتقرون